العدد السادس والعشرون
2009

مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا
1377 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2009 مسيحي

- ملامح عن المذهب المالكي في الغرب الإسلامي
- الخطاب الإسلامي مميزاته والتحديات التي تواجهه
- الشيخ محمد عبده وصلاته بأعلام الإصلاح في المغرب الكبير
- اللغة وصناعة الهوية

أ/ محمد الإمام
كلية الدعوة الإسلامية

لن يطال بحثي معنى هذه الكلمة، لأنني لا أجد لها ذكراً في معاجم اللغة ومقاييسها في إظهار المعنى الحقيقي للكلمة من حيث الأصل واللفظ والاشتقاق والاستخدام في اللغة العربية مكتفياً بالبحث عنها في مظانها، واستعمالاتها عبر الزمن لأن لهذه الكلمة دلالة على معناها.

فكلمة إنجيل تعني في اليونانية البشارة أو الخبر السعيد. وقبل أن نخوض في التسميات التي ابتدعها القديسون ونسبت للحواريين لابد لنا من التعريف بهذا الكتاب.

الإنجيل:

هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى ـ عليه السلام ـ ليبلغه لليهود وليصحح ما لديهم من عقائد وشرائع وهو وحي إليه جاءت فيه تعاليم المسيح وبشارته بالنبي الجديد الذي سيأتي بعده، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[1].

وهو من الكتب التي أوجب الله علينا الإيمان بها: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

وقد ذكر لفظ الإنجيل في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً، حيث وصفه القرآن بأربعة أوصاف: بالهدى، والنور، والمصدق للتوراة التي جاء بها موسى ـ عليه السلام ـ والموعظة للمتقين، قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

وسمى القرآن الإنجيل باسم الكتاب وذلك في قوله تعالى على لسان المسيح: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾[4].

إضافة لكونه متضمناً أحكاماً وتشريعات أوجب الله العمل بها على بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[6].

قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه (وأنزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى (من قبل) يقول من قبل الكتاب الذي نزل عليك، ويعني

---

(1) سورة الأعراف، الآية: 156 ـ 157.

(2) سورة البقرة، الآية 285.

(3) سورة المائدة، الآية: 46.

(4) سورة مريم، الآية: 30.

(5) سورة المائدة، الآية: 47.

(6) سورة آل عمران، الآية: 3.

بقوله (هدى للناس) بياناً للناس من الله فيما اختلفوا فيه من توحيد الله، وتصديق رسله، ونعتيك يا محمد بأنك نبيي ورسولي وفي غير ذلك من شرائع الله[1].

وقد جاء ذكر الإنجيل في أحاديث النبي ﷺ: (عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التوراة، التوراة فعلموا حتى إذا انتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً ثم أوتي أهل الإنجيل، الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً..)[2].

أما من حيث اللفظ فكلمة إنجيل ـ لفظة دخيلة إلى العربية ذات أصل يوناني (أونجيليون) ومعناها (الخبر الطيب) أو (النبأ المفرح) أي البشارة.

وهذه البشارة على ما لها من أهمية، وعلى ما تحمله من رجاء بالخلاص مع أن الذي حملها هو المسيح ـ عليه السلام ـ فبشر بها بنفسه لهذا تضمن الإنجيل أقوال المسيح ومواعظه مظهراً مجد الرب ومحققاً مشيئته.

فالإنجيل عند جماعة المؤمنين بالمسيح وتعاليمه لا يعتبر كتاباً منزلاً، إنما هو كتاب مقدس وضعه أبرار قديسون بإلهام من الروح القدس، وهو منبع العقيدة المسيحية ودستور العبادة، وليس مصدر تشريع اجتماعي متكامل، وما يصادفه القارئ من آيات إنجيلية ذات طابع تشريعي أرضي: إنما هي في الغالب تذكير ببعض ما جاء في العهد القديم من تنظيم وتشريعات، أو تكملة لها وشروح.

وتطلق على الإنجيل تسميات شتى هي في حقيقتها نعوت وصفات أطلقها الرسل والمبشرون والمؤمنون الأوائل إعراباً عما رأوه في الإنجيل من

(1) تفسير الطبري ج6، ص161 ـ 162، جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري.

(2) مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ـ كتاب المواقيت، رقم الحديث 345.

آيات، وعما كان له في نفوسهم من مكانة هو مجاز مرسل (العهد الجديد) قياساً إلى التوراة التي هي (العهد القديم).

وبذلك نخلص إلى أن الإنجيل هو الكتاب المقدس عند المسيحيين الذي يتضمن سيرة المسيح على الأرض وأقواله، قام بكتابته غير واحد من تلاميذ المسيح والرسل كل كما رأى وسمع، فجاءت الأناجيل غير موحدة الصوغ، وإن كان الصحيح الموثوق منها موحد الجوهر والمضمون. وقد تعدى عددها الستين إنجيلاً، إلا أن الكنيسة الجامعة ترفض الأخذ بها ما عدا الأناجيل الأربعة الموثوق بها: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

وقد تسلمت الكنيسة هذه الأناجيل واتخذتها دستوراً تسير على هديه وتعمل بوحي منه، لأنه يتضمن شهادة الرسل على حياة المسيح وتعاليمه[1].

وقد عرفت هذا التسمية عند العرب قبل مجيء الإسلام لوجود نصارى عرب شاع بينهم ذلك فزعموا أنه عربي قال الشاعر:

إلى معشر لم يورث اللؤم جدهم أصاغرهم وكل فحل لهم نجل

قال القرطبي: **الإنجيل**: إفعيل من النجل وهو الأصل ويجمع على أناجيل وتوراة على توار، ويقال: لعن الله ناجيله يعني والديه إذا كان أصله، وقيل: هو من نجلت الشيء: إذا استخرجته فالإنجيل مستخرج به علوم وحكم، ومنه سمي الولد والنسل نجلاً لخروجه كما قال الشاعر:

ربما ضربة بسيف صقيل بين بصرى وطعنة نجلاء[2]

استشهد به على أن الإنجيل من النجل في العين بالتحريك وهو سعتها، وطعنة نجلاء أي واسعة كقول الشاعر:

---

(1) موسوعة الأديان الميسرة، ص106 ـ 107، ط. دار النفائس، الطبعة الأولى.

(2) ابن الشجرة، ج2، ص244، والخزانة، ج4، ص187.

وأنجل في ذاك الصنيع كما نجل

قال القرطبي: وحكى شمر عن بعضهم، الإنجيل: كل مكتوب وافر السطور.

وقيل: نجل عمل وصنع كما قال الشاعر (وأنجل) أي أعمل وأصنع[1].

وقد قال صاحب الكشاف: (التوراة والإنجيل) اسمان أعجميان، وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وأفعيل، وإنما يصح بعد كونهما عربيين[2].

وقيل هو اسم معرب من الرومية وأصله (إثانجيليوم) أي الخبر الطيب فمدلوله مدلول اسم الجنس ولذلك أدخلوا عليه كلمة التعريف، وذكر القرطبي عن الثعلبي أن الإنجيل في السريانية ـ وهي الآرامية ـ (انكليون) ولعل الثعلبي اشتبه عليه الرومية بالسريانية، لأن هذه الكلمة ليست سريانية وإنما لما نطق بها نصارى العراق ظنها سريانية، ولعل في العبارة تحريفاً، وصوابها اليونانية وهو في اليونانية (أووانيليون) أي اللفظ الصحيح.

وقد حاول بعض أهل اللغة والتفسير، جعله مشتقاً من النجل وهو الماء الذي يخرج من الأرض، وذلك تعسف ـ أيضاً ـ وهمزة الإنجيل مكسورة في الأشهر ليجري على وزن الأسماء العربية، لأن إفعيلاً موجودة بقلة مثل إبزيم، وربما نطق به بفتح الهمزة، وذلك لا نظير له في العربية[3].

---

(1) الشواهد الشعرية في تفسير الطبري، ص142 ـ 143، تحقيق ودراسة عبد العال سالم مكرم، ط عالم الكتب.

(2) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الخوارزمي، ج1، ص363 ـ 364، ط دار إحياء التراث العربي.

(3) تفسير التحرير والتنوير، ج3، ص139، مجلد 3 ـ 4 ـ 5، ط الدار التونسية للنشر.

بيد أن هناك من يرى أن مثل هذه الخصائص لا تكفي لأن تكوّن صفات مميزة لمملكة طبيعية مستقلة. فإننا نجد في الإنسان نفس العناصر العضوية الموجودة في جميع أشخاص المملكة الحيوانية، فالعناصر التي تتولد منها الأعضاء، والوظائف التي خلقت لأدائها تلك، الأعضاء واحدة.

ولكن المملكة الحيوانية ليست أعلى رتبة من المملكة النباتية بمزية تركيبية، فإن هاتين المملكتين لا تتصلان من طرفيهما المتعارضين، بل من طرفيهما المتشابهين.

ومن هذه النقطة التي يتصل بها أرقى أنواع النبات بأحط أنواع الحيوان يترقى تركيب كل منها في جهة مخالفة.

ولكن الإنسان ليس خاضعاً لهذه الأحوال، فإنه يمثل بالنسبة للقردة نوعاً راقياً، وإن كان تركبه الجسماني يتشابه معها، فهذه المشابهة محصورة في الأشياء العمومية[1].

والحق أن الإنسان مؤلف من هذه الجمل الحسية المصورة، ومن تلك الجملة النفسية المؤلفة من تلك الحالات المتداخلة، كالانفعال، والإحساس، والإدراك، والتعقل، والإرادة، فهو إذن جسم وعقل[2].

خلق الله الإنسان ضعيفاً، كما قال في كتابه: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[3].

كما خلقه جاهلاً، كما قال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[4].

ولكنه على ضعفه وجهله عبرة لمن يعتبر، فهو مع ضعفه يتصرف في الأقوياء ومع جهله في نشأته يعلِّم جميع الأسماء.

---

(1) انظر: دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، م، 3، 700، 701، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

(2) المعجم الفلسفي، جميل صليبا 1/ 157، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(3) سورة النساء، الآية: 28.

(4) سورة النحل، الآية: 78.

وقال الإلهيون إن الإنسان لا يمكن أن يكون بدناً، بل هو هذا المعنى القائم بالبدن، ولا مدخل للبدن في مسماه.

وقال جمهور الفلاسفة: إن الإنسان حيوان ناطق، ولكنه ليس إنساناً بأنه حيوان، أو ناطق أو مائت، أو بأي شيء آخر، بل بأنه مع حيوانيته ناطق.

والإنسان الكامل الحقيقي عند الصوفية: هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية والجزئية، ونسبة الروح إليه كنسبة العقل الأول إلى العالم. والإنسان عالم صغير والعالم عالم كبير والنفس الكلية قلب العالم الكبير، والنفس الناطقة قلب الإنسان، ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير[1].

والإنسان العاقل: أعلى مراتب الحيوان، وهو الإنسان الذي يتولد من تفكير الإنسان الصانع في صنعه، وهو عاقل بتفكيره، وما يحصل عليه من معرفة، وماله من إرادة.

والإنسان العابد أعلى مراتب الإنسان في مدارج الكمال، وهو الإنسان الذي عرف خالقه بعد أن عرف خلقه[2].

ويرى فريق من العلماء: أن الإنسان مملكة قائمة بنفسها، بجانب ممالك الطبيعة الأخرى، وهؤلاء العلماء يوافقون رأي القائلين بإدماجه في المملكة الحيوانية، وأن مزية الإنسان على غيره من الحيوانات، ليست من وجهة تشريحية، وليست في أنه قائم على رجليه باستواء تام، ولا في خاصية ذكائه؛ لأن للحيوانات ذكاء ما، ولا في مزية التخاطب؛ لأن للطيور، وبعض الحيوانات الثدية لغة تتفاهم بها، ولا في العواطف الحبية؛ فقد ثبت أن لبعض الحيوانات عواطف مثله، وتنحصر هذه المزية في أخلاقه، وتدينه.

---

(1) التعريفات للجرجاني، ص61. تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت.

(2) انظر المعجم الفلسفي، عبد المنعم الحنفي، ص34، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

وهي لفظة عربية وجدت عند «أبي العلاء المعري» في رسالة الغفران (ص205 طبعة دار المعارف بمصر).

والأنسية: أيديولوجية راجت في إيطاليا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وامتدت منها إلى بقية بلدان أوروبا الغربية، وتمثلت في الدعوة إلى العودة إلى الثقافة القديمة باعتبارها ثقافة مركزها الإنسان.

وهي بالإضافة إلى هذا البعد التاريخي جعلت موضوعها الإنسان لتؤكد كرامته وتجعله مقياس كل قيمة.

وكان الإنسيون يعتقدون أن إنسان العصور الوسطى قد ضل طريقه، وتاهت عنه حقيقته ومن ثم كان تردّيه في حمأة التخلف، ولكنه بعودته إلى تراثه الثقافي، والفلسفات العظيمة التي كانت له في الماضي، يمكن أن يستعيد الروح التي كانت لإنسان العصر الكلاسيكي التي أوحت له بكل هذا التاريخ التليد. ولا يعني الإحياء التاريخي التقليد، ولكنه يعني تمثل الإنسان لنفسه والتفكير في الأرض وحياته عليها.

وهو بالتربية الكلاسيكية يثري روحه بالأمثلة العظيمة التي تفجر طاقاته لتغيير عالمه، ولكنه لا ينسى بدنه، فالبدن جزء من الطبيعة والأرض.

ولهذا أنف الأنسيون من هذا الزهد، وأنكروه على الدين، واستهدفوا اللذة، وكان رائدهم في ذلك «أبيقور».

ومع ذلك لم يكونوا ضد الدين، أو فرديين، لكن دعوتهم للاندماج في الطبيعة والتاريخ تعني أن يعيش الإنسان حياته، وأن يشارك في مجتمعه بحيث يصنع منه جنته الأرضية، وبذلك يؤكد قيمته التي أنكرها «إبليس» يوم رفض أن يسجد له مترفعاً عن أصله الأرضي[1].

(1) انظر: الموسوعة الفلسفية، عبد المنعم الحفني، ص71، دار ابن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان.

يولد الحيوان عالماً بالإلهام الفطري ما ينفعه وما يضره، وتكمل له قواه في زمن يسير، ويولد الإنسان وليس له من الإلهام سوى الصراخ والبكاء، ثم يحس ويشعر بالتدرج البطيء، ويعطى قوة أخرى يكون له بها السلطان على الكائنات الأخرى، فيسخرها ويذللها كما تشاء تلك القوة التي يسمونها العقل، ولا يعقلون سرها، ولا يدركون حقيقتها وكنهها، فهو بهذه القوة غير محدود الاستعداد، ولا الرغائب، يتصرف في الكون تصرفاً لا حد له بإذن الله وتصريفه. وكما أعطاه الله هذه المواهب والأحكام الطبيعية ـ ليظهر به أسرار خليقته ـ وملكه الأرض وسخر له عوالمها، ومنحه أحكاماً وشرائع حدد فيها لأعماله وأخلاقه حداً يحول دون بغي أفراده وطوائفه بعضهم على بعض، كما تساعده على بلوغ كماله.

فلهذا كله اختاره ليكون خليفة له في الأرض، فهو أجدر المخلوقات بهذه الخلافة.

وما نشاهده من تقدم علمي وتقني هو مظهر من مظاهر حكمة الله ـ الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ـ أن جعل الإنسان يقيم سننه، ويظهر عجائب صنعه ومنافع أحكامه.

وهل وجدت آية تدل على كمال الله تعالى، وسعة علمه، أظهر من هذا الإنسان[1].

فهو أفضل وأكرم مخلوق على الأرض، جاء به في صورة مستقيمة متسقة، موهوبة بالعقل والنطق اللذين يميزانه عن بقية الكائنات الأخرى، فالإنسان أساس الوجود البشري وأصل بقائه ومنهج عمرانه. يبني المدنيات، ويؤسس الحضارات حتى يصل بنفسه إلى مستويات كريمة.

ولقد جاء الإسلام ـ وهو خاتم الأديان على الأرض ـ فقضى على كثير من مفاسد الجسم والنفس ودعا إلى نظام اجتماعي يكفل حياة الإنسان وينظمها، ويدعم بقاءه.

(1) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 1/ 259 ـ 260، دار المعرفة، بيروت، لبنان.